

بحار الأنوار

[38] وقيل للكعبة " لكبيرة " اي ثقيلة شاقة " إلا على الذين هدى الله " أي هداهم الله

لثبات والبقاء على دينه، والصدق في اتباع الرسول صلى الله عليه وآله. " وما كان الله ليضيع " اللام لام الجود لتأكيد النفي، ينتصب الفعل بعدها بتقدير أن، والخطاب للمؤمنين تأييدا لهم وترغيبا في الثبات " إيمانكم " قيل أي ثباتكم على الإيمان ورسوخكم فيه، وقيل إيمانكم بالقبلة المنسوخة، أو صلاتكم إليها كما سيأتي في الرواية، وعن ابن عباس لما حولت القبلة قال ناس كيف أعمالنا التي كنا نعمل في قبلتنا الأولى، وكيف بمن مات من إخواننا قبل ذلك؟ فنزلت " إن الله بالناس لرؤوف رحيم " فلا يضيع أجورهم (1).

(1) بل الآية جواب عن مزعمة اليهود واحتجاجهم

الذي سيوردونها على المسلمين بعد الاعراض عن قبلتهم إلى المسجد الحرام، واحتجاجهم هو أنه لو كانت قبلتهم هذه التي استقبلوها في صلواتهم حقا وهي التي ولاهم الله إياها وجعلها وجهة خاصة بهم يمتاز بها ملتهم عن سائر الملل، فصلواتهم التي صلوها طيلة عشر سنوات بل وأكثر إلى قبلتنا باطلة، وإن كانت قبلتهم الأولى حقا وصلواتهم التي صلوا إليها صحيحة فصلواتهم هذه التي يصلونها باطلة، وإن قال المسلمون إن صلواتنا كلها صحيحة والقبلتان كل واحدة منهما حق في طرفه وأوانه لزم هذا النسخ المستحيل على الله لكونه بداء. فأشار الله عز وجل إلى رد مزعمتهم من استحالة النسخ بقوله " وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله " أي أنها كبيرة يشق احتمالها وهضمها والتصديق بأن كلتا القبلتين حكم مرضى الله عز وجل بعد ما سول لهم الشيطان بأن ذلك من البداء المستحيل، إلا على الذين هداهم الله إلى حقائق الإيمان فاعترفوا بالنسخ والبداء تسليما واخلاصا وحسن بلائه. ثم خاطب المؤمنين تسلية لهم وقال: " وما كان الله ليضيع إيمانكم " فانكم آمنتم بالقبلة الأولى، ثم لما وجهتكم عنها إلى غيرها قبلتم وآمنتم وصدقتم، فصلواتكم كلها إلى القبلتين مقبولة غير ضايعة عند ربكم لأنها كانت عن إيمان. فالإيمان في الآية بمعناه الأصلي، لكنها لما كان متعلقا بأمر القبلة في صلواتهم تأوله المفسرون بالصلاة، فافهم ذلك.